هند الدرملى

بعد انهيار سور برلين
خطة جديدة للعمل الاستشراقى

يشكل الاستشراق الألمانى مدرسة خاصة من تاريخ الاستشراق فلم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة العربية الإسلامية متصفة بروح عدائية كما يشهد بذلك معظم الذين تعرضوا لدراسة الاستشراق؛ ولا تكاد توجد إلا استثناءات قليلة معدودة لهذه الظاهرة.

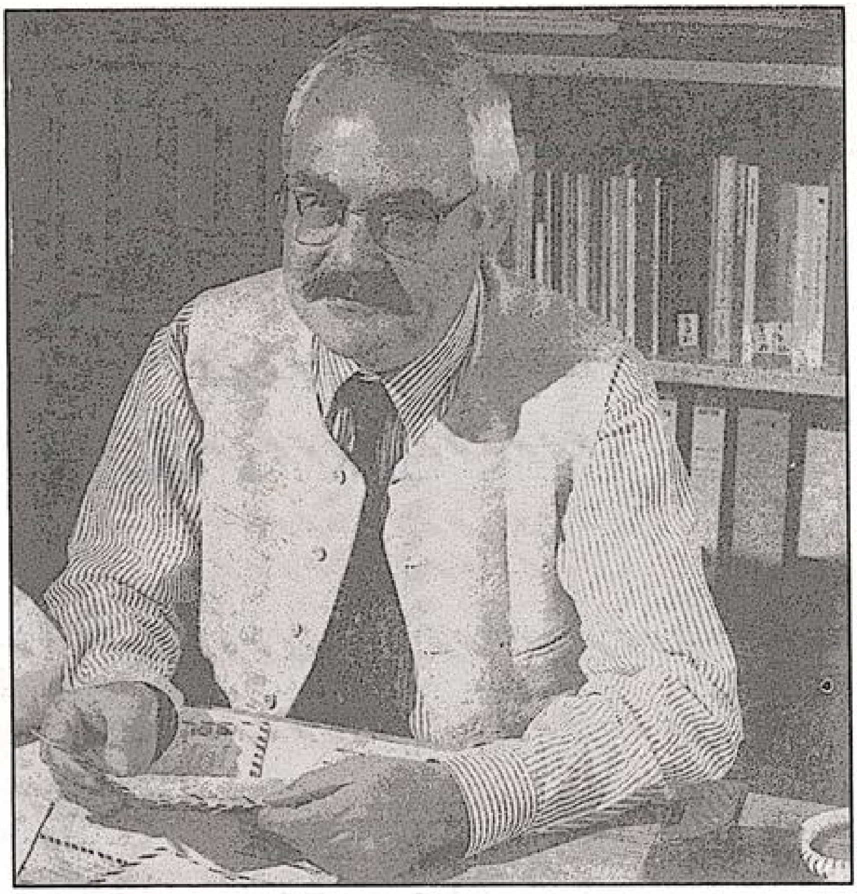
وإذا ذكر الاستشراق الألمانى، تذكر معه أسماء كبيرة لمستشرقين أدوا خدمات جليلة للتراث العربى الإسلامى فى مجال التحقيق والترجمة والدراسة، ومن هؤلاء فى القرن التاسع عشر ريكرت وفلوجل والورد؛ وفرايتاج، وفى أوائل هذا القرن متز وبيكر ومولر ومايرهوف براجستراسر وغيرهم.

ولابد هنا من الإشارة إلى المكتبة الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان، وهى المكتبة التى بدأ بنشرها المستشرق الكبير هلموت ريتر فى اسطنبول عام ١٩٣١، فقد أنجزت هذه المكتبة تحقيقات مهمة لبعض المصادر العربية، أهمها الوافى بالوفيات للصفدى، وفرق الشيعة للنونجتى، وأسرار البلاغة للجرجانى.

وقد كان للاستشراق الألمانى باع طويل فى عدة مجالات خاصة بالتراث العربى الإسلامى، أهمها فهرسة المخطوطات العربية، ثم الاهتمام بالمعاجم العربية على نحو ما نجد فى محاولة المستشرق فيشر لإنشاء معجم تاريخى للغة العربية.

واليوم، يمضى الاستشراق الألمانى لمتابعة مسيرته الكبيرة وإنجازاته العظيمة، وتكاد معظم الجامعات الألمانية اليوم تحتوى على قسم لتدريس اللغة العربية والإسلاميات، بالإضافة إلى أحوال المجتمع العربى المعاصر.

وفى السنوات الأخيرة، أصبح العلماء الألمان أكثر ميلاً إلى استقاء تجاربهم وخبراتهم لا من الكتب



المستشرق مانفريد هاكه

وحـدها، وإنما من الواقع الحي في البيئات الشرقية نفسها، وهذا هو ما دفع الجـمـعـيـة الألمانيـة للأبحـاث الشـرقيـة إلى إنشـاء مـعـاهد تكون بمثابة فروع لها في كل من بيروت وأسطنبـول وكـاتمندو؛ ويرأس هذه الجمعية اليوم المستشرق النشط المعروف «**مانفريد هاكه**».

ولا شك في أن عـام ١٩٦١ يمثل بالنسـبـة للاسـتـشـراق الألماني انتكاسة مؤلمة، فـقـد قـامت ألمانيا الشـرقـيـة في ذلك العـام بإغـلاق الحدود بينها وبين ألمانيا الغربية، مما حـرم المسـتـشـرقين في غـرب ألمانيا من المراجع والمصادر العربية الموجودة في شرق ألمانيا، والعكس أيضاً صحيح.

وكان المستشرقون الألمان قبل إغلاق الحدود، يعقدون مؤتمراً كبيراً كل ثلاث أو خـمـس سنوات، ويصدرون مجلة خاصة بهم. وكان هذا النشـاط يشكل فـائدة كـبـرى للعمل الاستشراقي من خلال الحوار المتبادل والعمل المشترك، ولهذا فقد كـانت فـرحـة المسـتـشـرقين الألمان

غامرة حين سقط سور برلين وعادت الأمور من جديد إلى طبيعتها بدون عوائق سياسية.

وبعد سقوط سور برلين اكتشف **مانفريد هاكه** أن المكتبة الشرقية ظلت دون عناية فى المانيا الديمقراطية (الشرقية)، لأن الدولة الاشتراكية لم يكن لديها سوى اهتمام ضعيف بهذا الجانب من البحوث، ومع ذلك فإن «هاكه» يبدى سعادته بأن هذه الدولة قد حافظت ـ على الأقل ـ على المكتبة كما هى.

وفى الوقت الحاضر تعمل الجمعية الألمانية للأبحاث الشرقية على نقل ما لديها فى غرب المانيا من كتب ووثائق، لتكون تحت تصرف «**مانفريد هاكه**» حيث يستطيع ضمها إلى ما هو موجود هناك، وعند الانتهاء من هذا العمل سيصبح تحت تصرف الباحثين والطلاب مجموعة فريدة من الكتب تضم خمسين الف مجلد.

ويؤكد «هاكه» أن استعمال المكتبة القديمة التى أسسها المستشرقون القدماء، يعتبر ذا أهمية بالغة بالنسبة إلى علم الاستشراق الألمانى.

وعلى الرغم من أن المستشرق العربى الإسلامى، لم يعد، بفضل البرامج التليفزيونية والاتصالات الفضائية الكثيفة والسريعة، غريباً كما كان فى الماضى، فإن دراسة مجال معين من مجالات الاستشراق لا تزال تعتبر أمراً غريباً وجذاباً بين شباب الباحثين الألمان.

ونتيجة للعلاقات الاقتصادية الدولية الواسعة التى بدأت تربط ألمانيا ببلاد الشرق على اختلافها، ظهرت حاجة أكبر إلى الجامعيين الألمان المتخصصين فى الدراسات الشرقية، ولكن هذه الحاجة ليست متساوية بالنسبة إلى جميع بلدان الشرق، فالذى يتخصص فى علم اللغات الهندية وآدابها، أو فى السريانية، لا يكون مطلوباً بالدرجة نفسها التى يكون مطلوباً فيها المتخصصون فى الثقافة العربية أو الصينية.

وبصورة عامة هناك منذ عدة سنوات تحول فى علم الاستشراق، فبينما كان فى الماضى يقتصر تقريباً على علم اللغة يتطور اليوم حسب تقدير «هاكه» إلى اختصاص يتركز اهتمامه بشكل متزايد على المشاكل المعاصرة.